

الوافي في الوفيات

من قال إنَّك تقتلي صبَّاً غوى ... تان ما هذي طباعك في الهوى .
لكنَّ حظوظُ قُسمَت في الناس .
وتقدِّم إليَّ بأنَّ أحمس الأبيات المذكورة فقلتُ : .
يا من رأى كَلَّفي به فتعطَّفا ... وحنا وجاد بوصله وتلطَّفا .
كيف انخدعتَ وملتَ عن طرقِ الوفا ؟ .
أشمتَ بي الأعداءَ من بين الوَرَى ... ومنعتَ عيني أن ترى طيفَ الكرى .
عجباً لحظَّي منك كيف تغيَّرا .
إنَّي أعوذُ بمن قضى بصبايتي ... أن لا ترقَّ وترعوي لكآبتي .
أو أن ترى فيَّ المرادَ شوامتي .
أتساعدُ الأيامَ في جور الذَّوى ... وتكون عوناً للصباة والجوى .
وتذيب صبري والتجلُّدَ والقوى ؟ .
وخمَّسها جماعةُ من شعراء العصر ورُزقت حظَّاً من سعادته وغنَّى بها المغنون . وكتبتُ
إليه من الشام وقد ورد عليَّ كتابه من القاهرة : .
وافى الكتابُ كما أردتُ فعُدتُ من ... إجلاله عندي أقومُ وأقعدُ .
ولكم لثمتُ الثَّرى في سجدةٍ ... وأطلتُ حتَّى قيل : هذا هدهدُ .
فكتب الجواب على ذلك : .
أهدى مشرَّ فُكَّ السليمانِيَّ ما ... يفنى الزمانُ وحسنُه لا ينفذُ .
وفهمتُ سجدةً هدهدٍ قد وافقتُ ... وطبتُ حتَّى قلتُ : فيه معبدُ .
وله جمعت كتابي الذي سميتُه المجارة والمجازاة حسبما طلبه منِّي وجهَّزته إليه
وكتبتُ معه قصيدةً امتدحتُه بها وهي : .
لك جفنٌ لو خالف الصبُّ أمرَه ° ... عاد بالدمع جفنه وهو أمرَه ° .
أيُّ عينٍ سوداءٍ قد تركتُ في ... صحنِ خدِّي من المدامع نُقْرَه ° .
يا غزالاً فيه من الغصنِ مَيْلُ ... وقضيباً فيه من الطَّبي زَفْرَه ° .
أنا أغنى الأنام فيك لأنَّي ... طالما نلتُ من محيِّاك بدْرَه ° .
لك خدُّ يُخالُ صفحةً بدرٍ ... كُسفتُ وِسْطَها من الخالِ زُهْرَه ° .
وشدَّي كلما تذكَّرتُ منه ... نَشْرَه كلن لي من الدمع نُشْرَه ° .
يا لذاك الجبينِ إذ رحْتُ منه ... وثيابي بالدمعِ في الشمسِ عُصْرَه ° .

ولذاك الريق الذي مُدّ حلا لي ... كم تجرّعتُ مُرّهُ منه مرّهُ .
ولذاك العذار إذْ زان خدّاً ... صار منه للصبّ ماءٌ وخُضْرُهُ .
أترى رَقْمَهُ بكفِّ علاء ال ... دينٍ لمّا بدا وجرّاد سَطْرَهُ .
قلمٌ في بنانه يجعل الطّير ... سَ مَحْيَيّْاً وطُرّةً فيه غُرّهُ .
هي كفٌّ لو جفّاتِ الأَرْضُ محلاً ... لم تعُز من يراعه غيرَ مَطْرَهُ .
لم يكن حارماً لمن حلب الرز ... قَ وإن جاءه حَمَاهُ المَعْرَهُ .
خلّ سمعي من قولك : ابن هلالٍ ... بدرٌ هذا أتمُّ في كلِّ نَظْرَهُ .
ولأوضاعه حلاوةٌ معنّى ... طالما أرسلت من الجود قَطْرَهُ .
ليس كتبٌ يخطُّها قطُّ كتباً ... بل رياضٌ قد أينعتُ كلِّ زَهْرَهُ .
تصدرُ الكتبُ في الممالك عنه ... فتُسَرُّ القلوبُ منها وتكْرَهُ .
فهي عند الوليِّ أطواقٌ جيدي ... وهي عند العدوِّ تقصد نَحْرَهُ .
وإذا ما أراد نظمَ قَريضٍ ... قلتَ : سحراً أدارَ أم كأسَ خَمْرَهُ .
بقوافٍ تمكّنتُ واطمأنتُ ... لا كمن جرّها إلى البيتِ سُخْرَهُ .
أين لفظٌ يأتي كنسمةٍ روضٍ ... من مقالٍ يُلقي على القلبِ صَخْرَهُ .
ذاك في السمعِ دُرّةٌ وأرى ذا ... في القفا مثلها وفي الدالِ كَسْرَهُ .
وحسودٍ يقول : لا أرضَ هذا ... قلتُ : تيهاً يا أسودَ الوجهِ بَعْرَهُ .
أيُّها السيّدُ المُمَجِّدُ حالي ... بك حالٍ وكان من قبلُ عِيْرَهُ .
إنّ هذا الكتابَ باسمك لَمّا ... صُغِّتُهُ عَظْمَ البريئةِ قَدْرَهُ .